المؤسسات الدينية والتعليمية ومؤثراتها الثقافية والاجتماعية في مدينة عدن القديمة ما بين القرن الثاني – وحتى العاشر الهجري

د. أحمد صالح رابضة
قسم التاريخ – كلية التربية – جامعة عدن

ملخص

- تسليط الضوء على المؤسسات الدينية والتعليمية القديمة من مساجد ومدارس وربط وغيرها في عدن، وأدوارها في الحياة الثقافية والاجتماعية في الفترة الزمنية المحددة.
- ذكر نماذج من هذه المساجد القديمة والمدارس العتيقة والربط الإسلامية.
- إبرازدور هذه المؤسسات الدينية والتعليمية في تخريج مخرجات علمية ذات مستوى عال، ودورها في الحياة الثقافية والاجتماعية الخ..
- نشوء حركة فكرية ثقافية وعلميه في هذه الدور وتفاعلها في المجتمع.
- بروز قضاة وعلماء ومدرسين أكفاء في هذه المدارس لهم مصنفات علمية أثرت المكتبة اليمنية وقتذاك وكانت جزءاً من المناهج التعليمية.
- مشاركة هذه المخرجات، ومنهم القضاة، والفقهاء في تولي المسئوليات الإدارية والمالية في عدن وغيرها لما تمتعوا به من خلق رفيع ومستوى عال من الإخلاص والتفاني وخشية الضمير.
- اهتمام هذه الدور بالعلوم النقلية والعقلية على الأخص، مثل الفلك والجبر والطب والمقابلة والموسيقى إذ غدت بمثابة الكليات المتخصصة.
- الترابط العرقي الوثيق بين كافة المؤسسات الدينية والتعليمية في الوطن اليمني كله.
- مؤثرات مدرسة عدن، في مدرسة حضرموت، على سبيل التمثيل لا الحصر.
- ما دونه فقهاء هذه المدارس من كتب فقهية تناولت موضوعات ذات أهمية خاصة والمثال " ذيل على طبقات الشافعية للإسنوي للعلامة عبدالله بن أحمد بامخرمه، الذي تناول موضوعات تتعلق بالقرصنة البرتغالية في السواحل الجنوبية وعلى الأخص عدن وحضرموت.
- غدت عدن في هذه الفترة مركزاً علمياً لم تشتغل بالتجارة فحسب، بل والثقافة والعلم.
- قدوم عدد كبير من العلماء من الداخل والخارج، بهدف التعليم في مدارسها، والاستيطان ، والاتجار في أسواقها إذ أصبحت عدن وقتذاك سوقاً تجارية رائجة وميناء تجارياً يستقبل السفن من شتى أنحاء العالم.
- تطبيق النظم والالتزام بها من قبل القضاة والفقهاء والعلماء والمدرسين والدرسة جميعاً، ومحاسبة المخلين بالأنظمة والقوانين ومصادرتهم وحبسهم وتعذيبهم.
- مشاركة مخرجات هذه المؤسسات في الحياة الاجتماعية كتولي أمانات الضرائب والموانئ، والتصدي للغزاة والمفسدين بكافة أشكالهم.

كلمات مفتاحية: المساجد القديمة والمدارس العتيقة والربط الإسلامية

1- عدن المكان:

لا شك أن لعدن- عين اليمن وثغرها الاستراتيجي، حظاً كبيراً في المصادر التاريخية، حظيت به؛ كونها ميناء استراتيجياً مهماً على بحر العرب والمحيط الهندي والبحر الأحمر، تربط الشرق بالغرب بمنافذ مهمة، أهمها على الإطلاق باب المندب، هذا المنفذ الذي أكسبها،دون تزيد وغلو، صفة العالمية في الموانئ، وصبغها بصبغة العالمية في كثير من مناحي حياتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والدينية، ومنذ زمن سحيق، وأزعم أننا لو عرضنا لذلك أو أسهبنا فيه لخرج بنا عن موضوعنا الأساس، ولهذا فليس لنا بد من أن نبسط البحث في هذا الموضوع وحده، وقد نستبيح لأنفسنا الخوض في الموضوعات الجانبية ذات الصلة، متى دعت الضرورة إلى ذلك.

ومما هو جدير بالملاحظة، وإمعان النظر في هذا الصدد، الرسم البرتغالي لمدينة عدن عام 918هـ/ 1512م، الذي تناقلته وتداولته المصادر والمراجع على حد سواء[1] ففيه تبدو مدينة عدن مكتظة بالمنائر الشاهقة، والقصور العالية والدور المتراصة، ويبدو جلياً أن كثيراً من هذه القصور ظل قائماً حتى القرن الثاني الهجري، حيث ذكر القزويني: أن معاوية بن أبي سفيان، عندما أرسل عبدالرحمن بن الحكم إلى اليمن، رأى نوابه على عدن، قصراً بساحلها مبنياً من الصخر والكلس ،ورأى آخرون قصوراً تضرب بجذورها إلى عهد عاد، ونبا إلى مسامعهم أن في بحرها كنوزاً من الخيرات[2]، وقد حفزت هذه الروايات البحاثة أحمد عبدالله محيرز[3] للشروع في محاولة الكشف عن هذه الذخائر في بحر عدن (العماد)[4]؛ بيد أن شحة الإمكانيات لم تساعده على المضي في تحقيق مشروعه وهذا يؤكد على وجه لا يقبل الشك ،ما ذهب إليه المقدسي ت:390هـ في وصفه لمدينة عدن بأنها بلدة مساجدها حسان وقصورها عظام ومعايشها واسعة، وأخلاق أهلها طاهرة ومباركة على من دخلها[5] ووصف البريهي لها ت: 940هـ/ 1533م بأنها ثغر قديم الهجرة أزلي حصين، الغالب على سكنتها الخشوع والسكينة كم يزورها من العلماء والنساك والعباد أمم يجلون عن الحصر[6]، وكانت عدن، وقتئذ موئلاً وملاذاً لأمم كثيرة وفدت إليها بحكم منافذها وتجاراتها البحرية والبرية، فغالب سكانها في القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي عرب مجمعة من الإسكندرية ومصر والريف والعجم والفرس وحضارم ومقادشة وجباليه وأهل ذبحان وزيالع وحبوش، ودورهم مربعة كل دار وحدها طبقتان ، ومادة بنائها من الحجر والجص والخشب والملح والجص على حد قول بامخرمه[7] ولما زارها الرحالة أمين الريحاني في القرن التاسع عشر الميلادي، وقد اندثرت هذه المعالم وغدت أثراً بعد عين أو كادت، أسف لذلك مر الأسف، ووقف صامتاً أمام آثارها ومعالمها المندثرة الباقية[8].

والحقيقة التي لا مراء فيها أنه أسف لزوال هذه الأمجاد العربية الأصيلة وما حل محلها من معالم مسيحية ويهودية وهندية بوذية ومجوسية كثيرة، لكن عدن التي أسهم القراصنة المغامرون في هدم معالمها العربية، إلى جانب عوامل التعرية المختلفة احتضنت هذه المعالم الأجنبية وظلت قائمة إلى يوم الناس هذا لم تمسسها يد التغيير ؛ بل تهيأت لها ظروف مواتية في الترميم والإصلاح المتفق وطبيعتها ،في حين أغفلنا نحن أو كدنا ما تبقى من معالمنا العربية الأصيلة.

إن هذه المدينة العتيقة التي تضرب بجذورها إلى ما قبل عهود المقايضات في البيع والشراء، كانت من المدن الرائدة في الاتجار والتجارة، فميناؤها العريق كانت تمر من خلاله أفخر ضروب وأصناف التجارات المتنوعة[9] التي أفرد لها ابن المجاور وبامخرمة

صفحات من كتابيهما[10] ولا حاجه إلى أن نعرض لذلك مما هيأ للمدينة فرصاً مواتية للنهوض في شتى مناحي الحياة.ومن الجدير بالذكر أنه نظراً لخبرة أهالي عدن في التجارة وعلى الأخص تجارة العنبر، والظاهر أن المدينة كانت تشتهر به، أن هارون الرشيد بعث إلي اليمن قوما يبحثون عن العنبر ، أهو رجيع دابه أم مادة تقذف بها عيون في قعر البحر، فكانت الإجابة الشافية من أهل عدن وشرمة ،أنه شئ تقذف به عيون في قعر البحر لا رجيع دابة[11] خبرتهم في هذه بالمادة، كيف لا وقد شادوا جامعهم – جامع عدن- بقطعة كبيرة من العنبر[12] وصفها ابن الديبع بالصخرة العظيمة[13].

2- **مهام المسجد:**

لم تقتصر مهام المسجد على الصلاة وحدها، فالمهام متعددة ومتشعبة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، وليس هذا القول بدعاً أو غريباً فقد كتب عنه الأئمة والعلماء والفقهاء والمؤرخون ومنهم الإمام القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن[14] الذي جوز قسمة الأموال فيه، ووضع الصدقات، وربط الأسير، وإنشاد الشعر الخالي من الفحش وفي عدن كتب العلامة الشيخ محمد بن سالم البيحاني كتيبه الصغير " نحو المسجد "[15] الذي تناوله الدكتور علوي عبدالله طاهر بالدرس والتحليل في بحثه (رسالة المسجد كما فهمها الشيخ العلامة محمد بن سالم البيحاني) وأسهب الدكتور الشجاع في تناول هذه المهام وغيرهم كثير[16].

ولعل من النافع أن نجمل هذه الآراء فيما يلي: لقد تعددت المهام في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلافة الراشدة،والإدارة العامة للدولة ومركزها الرئيس، فيه تقرر شئون الدولة الفتية ، وتعقد مجالس الشورى، والقضاء وتحدد معالم السياسة العامة وتسيير الجيوش، وتحفظ الأموال ويبعث السفراء وتستقبل الوفود ، هذا إلى كون المسجد جامعة إسلامية كبرى ففي طرف المسجد تجد عالم التفسير يفسر آي الذكر العظيم ، والمحدث يطرق باب الحديث وفي الطرف الثالث حلقات متعددة فيها القاص يقص القصص التاريخي، وآخر ينشد الشعر وثالث يناقش ويحاور في علم الكلام وهكذا دواليك.

فهل انطبقت هذه المهام الملقاة على المساجد والمدارس في اليمن وعدن بخاصة.

نقول على وجه القطع واليقين إن مساجد ومدارس عدن قد شهدت حركة علمية مثمرة... ومما لا شك فيه أن مهاماً مماثلة قد أنيطت بها وعلى الأخص في جوامعها الرئيسة ومساجدها العتيقة ومدارسها التاريخية، لكن سكتت المصادر عن تدوين بعضها ،وعلى الأخص ما يتعلق منه بالدولة وسياستها وقرارات الولاة وما إلى ذلك .

أما الحركة العلمية والنشاط الفكري بعامة، فلا سبيل إلى إنكاره فقد دونه المؤرخون، ومنه طرائق التدريس ونظام الإعادة " المعيد والمدرس" والنشاط الفكري والنتاج العلمي للعلماء والمدرسين والفقهاء والمفكرين والتبادل الفكري بين العلماء والتأثير والتأثر بين المراكز العلمية كتأثير مدرسة عدن على مدرسة حضرموت ومن الحق التنويه بذلك ،قدر الاستطاعة، عند الحديث عن المساجد في عدن.

3- **مساجد عدن:**

ومن المساجد العتيقة المندثرة في عدن مسجد السماع، والسوق[17]، والدوري، والعندي ، والبصري والزنجيلي والشجرة والنبي والله والبيلقاني وابن بندار.

ويظهر أنها شهدت حركة علمية وفكرية مزهرة في القرن السابع الهجري[18] إذ تواكب وجودها مع نشوء المدارس التاريخية في عدن، مثل المدرسة المنصورية والياقوتية وغيرهما ، مما حدا ببعض الباحثين الأكاديميين إلى القول: بأن نظام التعليم في هذه الفترة كان أول شكل منظم لنظام التعليم في العالم وليس في حدود

الإسلام[19] وقد يكون نافعاً بعض النفع أن نورد نماذج محدودة من هذه المساجد التي ورد ذكرها بجلاء في المصادر التاريخية التي بين أيدينا وأبرزها:

1.3- جامع المدينة (جامع عدن):

ومع أن حظ هذا الجامع من الخلط عظيم نظراً لاختلاف آراء المؤرخين والدارسين في موضعه في المدينة، فمنهم من يضعه في القطيع[20] ومنهم من يضعه في طرف شارع أروى القريب من القطيع[21] ومنهم من يرأى أنه من مخلفات الفرس [22]

وهناك من يرى أنه من مخلفات العصر الرسولي[23] بينما يرى آخرون أنه من مخلفات العصر العثماني[24] كما يرى الآثاريون وخبراء المعالم والمآثر أن زخرفة المنارة القائمة في شارع أروى هي زخرفة سلجوقية، ويرى بعض زوار هذه المنارة أنها في الأصل فناريهدي السفن إلى الميناء[25].

1.1.3- النشأة:

وقبل الخوض في هذه الخلافيات نقول على وجه القطع : إن المصادر التاريخية أكدت أن الجامع من مخلفات العصر الأموي في عدن ويرجع بجذوره إلى عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه أي القرن الثاني الهجري- الثامن الميلادي[26] وقد زاره لفيف من الأئمة والعلماء، أبرزهم على الإطلاق الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وخطب على منبره[27]، وهو عند ابن المجاور يقع في طرف المدينة مما يلي الساحل[28] وعند المقدسي بعيد عن أسواق المدينة[29] وأرجح الظن أن المنارة القائمة بحذاء البريد العام ما تبقى من هذا الجامع الذي يصفه العلامة محمد بن سعد باشكيل بعد ذرعه طولاً وعرضاً أنه من أطول وأكبر وأقدم مساجد المدينة[30] وقد أشرت في دراسة نشرت في الثمانينات من القرن الفائت، أن فكرة أن تكون المنارة فنار قديم فكرة لم يستوثق صاحبها من صحتها ولم يتحر فيها الحق والصدق[31].

وقد خلصت الدراسة إلى تقرير بعض الحقائق:

- منها أن المنارة هي ما تبقى على الأرجح، من جامع قديم كبير في عدن اكتشفت بعض تيجان أعمدته المحفوظة الآن في متحف الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات في الخمسينيات من القرن الفائت.
- لاحظ بعض المؤرخين[32] في الأربعينيات من القرن الفائت بقايا مقبرة تحيط بالمسجد وأرماس قبور وأصداف بحرية، وقد جرت العادة ان تقام المقابر والترب بحذاء المساجد ، أما وجود الأصداف البحرية فمرده أن البحر كانت ترتطم أمواجه بجدران الجامع ، مما يدل على أن هذه المنطقة التي نطلق عليها " الرزميت" كانت عبارة عن بحر عند احتلال البريطانيين لعدن سنة 1839م ، وقد شاهدنا الرسم البرتغالي قبلئذ وتبدو الدور والمساجد الحسان والمدارس والقصور العظام فيه تتراص على أطراف ساحل عدن ، ولكن هذا لا يسوغ لنا القول : إن أحدها هذا الجامع المشار إليه سلفاً، فقد دعونا في ما تقدم من السنين – إلى إجراء تنقيبات وفحوصات مخبرية آثارية لعينات ، إذا أمكن التعبير، من البرج الذي تقف عليه المنارة لسبرغور التربة والتحقق من أقدمية الأثر، وإلى أي حقبة تاريخية يعود ، ولم تلق هذه الدعوة آذاناً صاغية وقتذاك، كما جرت العادة، وانتشر العمران، وحال دون تحقيق هذه الدعوة، وزاد الطين بلة أن التقارير التي كانت ترفع إلى جهات الاختصاص، والتي تفيد أن المدينة خلو من الآثار والمآثر القديمة عمقت الفجوة ، وصرفت هذه الجهات عن وجهتها الحقيقية، وخيل إلى بعض القائمين على المآثر- وفقاً لذلك- أنها حديثة عهد ، ومعظمها ذات نشأة انجليزية، وإن بعدت فتركية، وأن

الإنجليز قاموا بهدم الكثير منها، وعلى الأخص المندثرة، وكان للغزاة الذين هاجموا المدينة في القرون الماضية اليد الطولي في الهدم والتدمير، وبالتالي لا حاجة إلى العناية بها العناية بالآثار والمآثر.

وأجدر بنا أن نقول :إن جامع عدن شهد حركة علمية نشطة، وكانت الحلقات العلمية التي تقوم في رحابه تتجاوز المائتي طالب ومريد، ويبدو أن النشاط العلمي قد أثمر في عهود أئمته من أمثال العلامة أبي بكر بن يوسف بن اسحاق المعروف بابن المستأذن، والقاضي محمد الدفوي، والقاضي إبراهيم بن أبي الأعز، وأحمد الأصبحي، عالم التواريخ والسير، ويصف البريهي ابن المستأذن بالإمام الفاضل والخطيب المصقع والأديب الذي برع في فن الأدب[33].

ولما زار ابن حجر العسقلاني عدن مطالع القرن التاسع الهجري.

والتقي ابن المستأذن[34]. وسمع من شعره وسمع هو من ابن حجر وكتب عنه تصانيفه (تعليق التعليق) و(تهذيب التهذيب) و(لسان الميزان) وتنقل في بلاد اليمن وأخذ من العديد من العلماء وزار زبيد والتقى المجد الفيروزآبادي عام 817هـ[35]. وغدا في شيوخ ابن حجر في حفظ اللغة والإطلاع عليها.

* **التجديدات:**

تعرض الجامع لجملة من التشييدات منها زيادة بعض الأروقة والأجنحة من قبل الدول المتعاقبة على اليمن منذ عهد آل نجاح (القرن الخامس)[36] وآل زريع (القرن السادس)[37] وآل طاهر (القرن التاسع).

أما في العصر الحديث فقد رممت المنارة – الأثر المتبقي منه على الأرجح الأعم، في الخمسينيات وفي مطلع الثمانينات.

2.3- **مسجد أبان:**

لن نطيل الوقوف طويلاً أمام هذا المسجد، الذي يضرب بجذوره هو الآخر إلى القرن الثاني الهجري فقد أجمع المؤرخون على أنه منسوب إلى أبان بن عثمان بن عفان المتوفى عام 105هـ[38] حيث أفادت الروايات أن أباناً، الذي لعله سكن عدن، بنى فيها مسجده المعروف بمسجد أبان، والظاهر أنه كان يعمل في التجارة إلى جانب اهتماماته الفقهية والعلمية، ويبدو من كلام الزبيري أن أباناً ظل في المدينة المنورة والياً عليها ولم يبارحها حتى وفاته[39]، لكننا نعلم على القطع وعلى وجه لا يقبل الشك أن إمامة الحكم أبن أبان ت:154هـ له قد خلف أثراً يستحق مؤونة الالتفاف ،فقد وصف هذا الرجل بأنه سيد أهل اليمن وأحد ثقاتها، أسس مدرسة فقهية ، ومن شيوخه عبدالرحمن بن زامرد، ووهب بن منبه، ومن تلامذته لفيف من العلماء والفقهاء من أمثال إبراهيم بن الحكم العدني، وحفص بن عمرو العدني، وموسى القنباري العدني، ويزيد الكناني العدني ،كما زار الجامع في عهده سفيان بن عُيينه[40].

وفي النصف الثاني من القرن الثاني الهجري شهد الجامع تطوراً ملحوظاً في نظام التعليم إلى جانب عدد آخر من المساجد التاريخية،مثل مسجد الشجرة والتوبة وابن البصري وجامع عدن والسوق. في عهد إبراهيم بن الحكم الذي قدم الإمام أحمد بن حنبل للأخذ عنه فلم يجده، فقال عبارته المشهورة للمكثر بن أبان :(في سبيل الله الدريهمات التي أنفقناها في قصد ابن أخيك) [41].

ومما يسترعي الاهتمام أن بعض المؤرخين وأبرزهم الخزرجي قد ساقوا رواية تفيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زار الجامع مع عدد من أصحابه للصلاة على روح الفقيد أحمد بن محمد بن حجر الهجراني، ومع خلو الرواية من الصحة، فإنها تدل على أقدمية

الجامع وأهميته الدينية والروحية لدى معشر المسلمين ، فقد وردت روايات من هذا القبيل عن مساجد أخرى في اليمن مثل مسجد الجبانة في تريم[42]. وذكر هارولدف،استنادا إلى هينس الذي شاهد الجامع عند احتلال الانجليز لعدن ، أن تشييداته حديثة عهد ، أما الجامع الأصلي فقد كان قائما عام 685هـ/ 1286م(3)

وأياً ما كان، فقد هدم الجامع القديم في سنة 1997م وحل محله مبنى. آخر لا يمت إلى الأول بصلة، وانمحى بذلك جامع عتيق في عدن يرجع بجذوره إلى مخلفات القرون الإسلامية الأولى، وهي ظاهرة لها حظ أوفر من الانتشار، فقد طرأت متغيرات مختلفة على بعض المؤسسات الدينية والتعليمية القديمة والمآثر والمعالم بعامة ،تمشياً مع الفكرة الخاطئة التي روج لها بعض المهتمين في تقاريرهم، ومفادها أن عدن خلو من المآثر والمعالم القديمة والإسلامية، وهنا مربط الفرس وأس المشكلة حيث فتح الباب على مصراعيه لهدم المباني التاريخية واحلال مباني خراسانيه رثة.

3.3- مسجد العيدروس:

ويعد هو الآخر من مساجد عدن القديمة وقد احتفظ بقالبه التاريخي بعض الشيء إذ لم يمس، وعلى الأخص في الآونة الأخيرة ،نظراً لرعاية القائمين على الربط الإسلامية ومراكزها العلمية والذين أولوه قدراً كبيراً من الرعاية والعناية ،وهو جامع تاريخي عتيق، الأرجح أنه وقف على أنقاض رباط قديم يعود إلى مخلفات القرن التاسع ،ولعل القبة التي أشار إليها العلامة خرد ت:960هـ هي البداية الأولى[43].

وقد تولى آل طاهر 858- 923هـ تشييد قباب الجامع وأروقته وأجنحته، ذكر بافقيه أن مرجان الظافري والي عدن في القرن العاشر الهجري بنى رباطاً وداراً كبيراً لسكن القائم بالتربة وبنى عامر بن عبدالوهاب ت 923هـ قبة معظمة وشاد عبدالملك بن محمد الطاهري ثلاثة أروقة محيطة بالقبة ،وهي قبة عظيمة كما وصفها خرد[44].

وقد ترجم المؤرخون للعلامة الشيخ أبي بكر بن عبدالله العيدروس الذي نسب الجامع إليه من أمثال بافقيه[45]. والعيدروس[46]. وخرد [47]. وبحرق[48]. ومن المحدثين العلامة المشهور[49]. وآخرين.

وأورد النهروالي رواية تفيد أن أبابكر العيدروس كان حياً في عام 976هـ عند الاحتلال العثماني لليمن وعدن بخاصة[50]. حيث قال ما مفاده أن العيدروس مر على مدرسة المطهر بن شرف الدين وقاسم بن الشويع نائبه على عدن يقوم ببناء المدرسة فقال للشيخ: كيف ترى هذه المدرسة؟ فأجابه: تؤخذ إذا وصلت إلى الركبة، فما وصلت إلى ركبة الواقف، حتى صارت من المزابل، وهكذا أساس كل باطل[51]. والقصة لا أساس لها من الصحة، فالعيد روس توفى في عام 914هـ وهذه وتلك من الأغلاط التاريخية التي لا ينطلي مغزاها على لبيب، ولا يخفى وجه الغرابة فيها، لكنها تحيط الروايات بظلال مريبة من الشك تحدث اضطرابا في تاريخ المآثر.

تجدر الملاحظة أن بعض المؤرخين يصف صاحب الجامع بالشاذلي مبتكر القهوة البن في اليمن [52]. فهل يعني هذا أن أبابكر العيدروس، هو أول من أدخل القهوة أو ابتكرها في مجالس الصوفية في اليمن؟!

4.3- مسجد العسقلاني( ):

أما مسجد العسقلاني فالأرجح أنه من مخلفات العصر الرسولي، ومن المؤكد أنه كان قائماً يحمل اسماً آخر لم نقف عليه في عهد الأشرف الرسولي، وهو اعتقاد تعززه زيارة الإمام ابن حجر العسقلاني إلى عدن في مطالع القرن التاسع الهجري ولقاؤه بالعديد من علماء اليمن، ومنهم العلامة ابن المستأذن[54]. في عدن أمام وخطيب جامع عدن وابن

الخياط الشافعي ت 811هـ وأخذ عنه الفقه وأبن عبدالصمد الجبرتي ت: 806 هـ وأحمد بن أبي بكر الناشري ت815هـ والمجد الفيروزآبادي والشريف أبن المقرى ت: 837هـ واستفاد من الأخير في الفقه والعربية والأدب، والتقى هؤلاء على أرجح الأقوال في زبيد[55].

وتعرض هذا الجامع ،كما هو حال معظم مساجد عدن، إلى جملة من الترميمات والتشييدات التي ساهمت في محو المزيد من مظاهره الحضارية القديمة، فغلبت عليه الحداثة، وغدا لا يمت بصلة إلى قديم.

5.3- **مسجد أحمد بن علوان( )**.

وهو الأخر من مخلفات العصر الرسولي، على غالب الظن، وإن كنا لم نقف في ترجمة الصوفي أحمد بن علوان على ما يدل على ذلك ،وقد جرت العادة أن يفد العلماء والفقهاء ، من تعز أو لحج أو عدن أو غيرها من المناطق القريبة دون أن يدون ذلك في المدونات، والأرجح أن الصوفي أحمد بن علوان ت:647هـ او 665 هـ [57]. قد زار عدن قادماً من يفرس في الجند ، ونسب المسجد إليه، كما حدث لمسجد العسقلاني المنسوب، على الأرجح، لابن حجر العسقلاني... وقد نسب أحد الدارسين المسجد للحسين البصري الذي ابتناه، حسب زعمه عام 847هـ،[58]. بيد أنه لم يشر إلى مصدر الخبر، كما أننا لم نقف في ترجمة أحمد بن علوان[59]. على زيارة قام بها إلى المسجد ، أي أن كل ما ذهبنا إليه لا يعدو أن يكون استنتاجات، وقد تبين لنا أننا نستطيع الوقوف على أخبار المساجد من خلال تراجم أئمتها وخطبائها، أو الزوار الوافدين إليها، ومقارنتها بتراجم أخرى، وقد طرأت على المسجد تشييدات وترميمات عدة ،كان آخرها سنة 2006م وكما جرت العادة، فلم يشر القائمون عليه إلى أقدمية الجامع، ودونوا على اللوحة التي عند مدخله أنه تم افتتاحه بتاريخ 1شعبان1427هـ، الموافق 25/ 8/ 2006م.

6.3- **مسجد (حسين)**

كان بمثابة رباط من الربط المنتشرة في منطقة رباط الشاذلية، ويبدو جلياً أن المنطقة تضم ربطاً عدة لا رباطاً واحداً، ومنها هذا الرباط المنسوب إلى الحسين بن الصديق الأهدل ت:904هـ ورباط آخر نسب إلى حسين عبدالرحمن الأهدل ت: 831هـ وبصحبته صديقه الفقيه أحمد بن أبي بكر الحضرمي[60].

وقد ضم المسجد الحالي ضريحي الحسين والحسن على غالب الظن، ولا نعرف على وجه اليقين متى تأسس المسجد، والأرجح أنه في القرن التاسع 868هـ أو مطالع القرن العاشر 903هـ عام وفاة الحسين بن الصديق الأهدل أو بعده بقليل، وقد قلنا ، فيما تقدم، إن هذا ليس بدعاً أو أمراً غريباً، فقد جرت العادة في عدن أن تقوم المساجد على أنقاض ربط الصوفية ولا نعلم من الذي وضع اللبنات الأولى للمسجد ،والأرجح أنه من تشييدات مريدي ومحبي الحسين من ذوي الجاه واليسار في عدن.

يصف بافقيه الحسين بأنه مصلح اجتماعي يسعى بين الدولة والعرب المفسدين بالصلح [61]. وقد وضع اللبنات الأولى للتعليم في الرباط، ودرس الحديث والفقه والنحو في جامع عدن، ويعد شيخاً لمؤرخ وقاضي عدن عبدالله الطيب بن عبدالله بامخرمه ت 947هـ.

وترجم للحسين لفيف من المؤرخين[62]. والباحثين آخرهم الدكتور محمد كريم إبراهيم[63]. الذي قدم عرضاً لبحثه في مسجد الأهدل في عدن في ندوة مسجديه شاركت فيها بمحاضرة عن هذه الشخصية ودورها التنويري التعليمي في مدينة عدن[64].وقتذاك.

7.3- مسجد جوهر:

وقف المسجد على أنقاض رباط سعد الحداد[65]. ثم رباط جوهر إذ حل جوهر بن عبدالله العدني الجندي في مشيخة الرباط خلفاً لسعد الحداد، وقد أورد بامخرمه قصة ظريفة في توليته المشيخة[66].

أما المسجد فلعله شيد ما بين القرنين السادس والسابع الهجريين أي ما بين العصرين الأيوبي والرسولي . وذكر اليافعي أن جوهر كان عبداً عتيقاً متسبباً في السوق[67].حينها وهو من الصوفية الذين انخرطوا في الحياة الاجتماعية ،وكان له دوره الفاعل في نشر الدعوة الإسلامية بين الأجانب إذ ذكر بامخرمة أنه أسلم على يديه نصرانيان ودفنا في تربة جوهر[68]..

وتقلد منصب إمامة المسجد عدد من العلماء،أبرزهم العلامة أحمد بن حسين شينا الذي شهد الجامع في عهده حركة تعليمية تنويرية، ووصف البريهي العلامة شينا بأنه مما يحار فيه الأديب ويأتي بما لم يأت به المبصرون[69].

ومن العلماء الذين ارتادوا المسجد قاضي قضاة عدن عبدالله الطيب بامخرمة ومحمد بن سعيد بن كبن ومحمد بن مسعود باشكيل وعبدالله بن أحمد بامخرمة وقد دفنوا جميعهم ،على الأرجح، في تربة جوهر.

أما المشهد أو الضريح القريب من المسجد والذي يقف معترضاً الزقاق المقابل للجامع فهو مشهد الشيخ ريحان بن عبدالله العدني على حد قول بامخرمه[70]. على غالب الظن .

(آثار جوهر):

ولجوهر شعر صوفي رقيق من قبيل قوله:

وإن جيش الأحباب جيشاً من الجفا بنينا من الصبر الجميل حصونا
وإن بعثوا خيل الصدود مغيرة بعثنا لهم خيل الوصال كمينا
أحباؤنا جوروا وإن شئتم اعدلوا صبرنا على حكم القضا ورضينا

كما أشارت المصادر إلى مساجد الضواحي، ومنها مسجد رباك[71]. ومسجد المباه ومسجد جبل حديد[72]. وجامع الجبل الأخضر أو جامع المعتمد التكريتي[73]. ومسجد اللخبة [74]. وغيرها .

4- الربط والهجر:

كنا قد ألمحنا، فيما تقدم ،أن معظم مساجد عدن قد قامت على أنقاض ربط كما هو حال مسجد العيدروس، ومسجد حسين ومسجد حامد والعراقي، وانتشرت هذه الربط في المنطقة المعروفة بحافة حسين ولم يصل إلى مسامعنا أن أحد المختصين قد أفرد كتاباً عن الربط في اليمن، نكاد نستثني العلامة المؤرخ إسماعيل بن علي الأكوع الذي تناول الهجر تناولاً واسعاً في كتابه الموسوعي، " هجر العلم ومعاقله في اليمن" ولسنا في حاجة إلى تعريف الرباط فهو واحد الرباطات المبنية ،وقد يكون الرباط مدرسة وسكناً للفقراء والطلبة وأبناء السبيل.

1.4- (رباط تريم):

وقد اختلفت هذه المباني من بلد لآخر، فهي في الشام والعراق تبدو كالقصور جمالاً وحسناً كما يصفها ناصر خسرو[75]. وقد شيدت جنباً إلى جنب مع المساجد فإذا سادت الربط في اليمن في الأماكن التي ساد فيها المذهب السني، فإن الهجر سادت في الأماكن التي ساد فيها المذهب الزيدي[76]. والظاهر أن نشوء الهجر كان متقدماً لعله

يعود إلى القرن الثالث الهجري، والدليل على صحة ما ذهبنا إليه زيارة الإمام الشافعي لهجرة دبر، هجرة الإمام أبو يعقوب أسحاق بن إبراهيم بن عباد الدبري ت 285هـ[77].

أما الربط فلعلها قامت بين القرنين التاسع والعاشر الهجريين وعلى الأخص في عدن، فقد نشأت ربط مثل رباط أحمد بن الرنبول بفتح الراء وسكون النون، الذي يصفه اليافعي بالفقيه الإمام العلامة[78]. والظاهر أن رباطه تخصص في دراسة الفقه. ورباط أبي محمد بكر الصوفي ورباط العراقي في الخساف ورباط الشاذلية ورباط العيدروس ورباط جوهر ورباط حامد.

وقد أسهمت الدول المتعاقبة على اليمن في الاعتناء بالربط الصوفية، وأنشأت العديد منها؛ فالدولة الرسولية أنشأت العديد منها بل اعتنت عناية خاصة بالصوفية وأصحاب الطرق والعلماء والشعراء بعامة من أمثال أحمد بن علوان، وأبي الغيث بن جميل وغيرهما، وابتنى آل طاهر جملة من الربط، قال الجرافي: أن المجاهد علي بن طاهر بنى الكثير من المساجد والرباطات[79].

وقال بافقيه: إن آل طاهر شيدوا القباب الصوفية والربط ومنها رباط العيدروس، ثم كانت لهم اليد الطولى في بناء المسجد نفسه[80]. قباباً وأروقة وأجنحة.

ومن الربط المشهورة في عدن رباط العراقي، وقد أرخ المؤرخون لعدد من أفراد هذه الأسرة الصوفية ومنهم عبداللطيف بن أحمد العراقي المتوفى: 809هـ[81]. ونجله عفيف الدين عبدالله العراقي المتوفي 861هـ والمدفون تحت حصن التعكر، وهو من صوفية عدن المشهورين، والقاسم بن عبدالله بن عبداللطيف العراقي المتوفي 901هـ[82]. كما انتشرت ربط أخرى في أنحاء متفرقة في اليمن وأبرزها وأشهرها ربط أحمد بن علوان في يفرس[83].

5- المدارس التاريخية القديمة:

كشفت دراسة قمت بها بعنوان (المعالم الفكرية للحضارة الإسلامية في اليمن 626- 858هـ) ما زالت قيد الخط عن تعدد أنماط وأشكال المدارس في القرون الماضيات، وانتشارها بشكل واسع في العصر الرسولي بخاصة، ومن ذلك الغرابية والوزيرية[84]. ومدرسة الزات والأشرفية والمنصوريات والياقوتيات والعامرية[85].

والشمسية والمؤيدية والمعتبية والمجاهدية، ومنها ما اندثر وتلاشى، وغدا في خبر كان، ومنها ما بقي ماثلاً يذكرنا بتاريخه التليد، مثل مدارس تعز وزبيد وغيرها كثير أفردنا للبعض منها جداول في الدراسة السابقة.

وتعددت طرق وأساليب التدريس فيها، فمن طريقة الإملاء إلى السماع إلى الوجادة، ومن العلوم النقلية إلى العلوم العقلية بما في ذلك علم الطب والفلك والجبر والمقابلة.

وتوافد عليها العلماء والمدرسون من بلدان مختلفة ،وبرزت فيها نظم الإعادة (المعيد والمدرس) قال بامخرمة (كان الفقيه عثمان بن أبي سودة الحضرمي معيداً للفقية أبي بكر بن حنكاس[86].وتوفرت فيها دور الضيافة وسكن إقامة الطلبة والدرسة والمعلمين والوقفيات الكثيرة والمتعددة.

ولم يقتصر بناؤها على الحكومات بل تعداها إلى الأمراء والفقهاء والتجار والجواري وذوي الجاه واليسار وغيرهم[87].

وثمة تشابه جلي بين المدرسة والمسجد في هذه القرون التي نحن بصدد درسها شكلا ومضموناً.

فمن حيث الشكل، فالمدرسة تعلوها المئذنة بل وربما جملة من المآذن والقباب مثل العامرية في رداع والتي رممت في الآونة الأخيرة وارتدت حلة قشيبة ،كما يعين فيها

الإمام والمؤذن، ولا تخلو من المصلى و تقوم فيها الصلوات، كما هو حال المساجد ، ومثلها الأشرفية والمظفرية في تعز والمنصورية في زبيد وجُبن وغيرها.

أما مدرسو ومعيدو هذه المدارس، فهم من العلماء ذوي الخبرة والممارسة في العلم والتعلم ،ولهم مصنفات مشهود لها بالجودة، وتكاد تنطبق عليهم صفة ، فالعلامة علي الزيلعي له مصنفات في الحساب والفقه واللغة، وعلي الجنيد بارع في الطب والنحو واللغة، ومحمد بن سعيد بن كبن له المفتاح على الحاوي وكتاب الدر النظيم في فضل بسم الله الرحمن الرحيم، ومحمد بن حسن التيمي المشهور بمصنفاته العلمية في الطب والبيطرة والموسيقى، وأحمد الأصبحي العالم في السير والتواريخ وغيرهم.

مدارس عدن التاريخية:

وبمقارنة معطيات ومهام ونظم مدارس عدن التاريخية بمدارس اليمن خاصة ومدارس العالم الإسلامي عامة، فثمة صورشتى للتشابه والتلاقي ،ففي اليمن ظهرت مدارس – من حيث مسمياتها - تسمت بمسميات واحدة مثل المنصوريات التي انتشرت في عواصم اليمن كافة رسولية وطاهرية،وكذلك الياقوتيات المنسوبة على الأرجح ،الى اختيار الدين ياقوت الرسولية .وقد ذكر محمد على العروسي أن المدرسة الياقوتية في ذي السفال، من مدارس العصر الأيوبي.. ولست أدري ما دليله على صحة ماذهب إليه؟![88]. علماً بأن الياقوتيات جميعها تنسب إلى اختيار الدين ياقوت الرسولية زوج الملك الظاهر يحي بن الملك الأشرف الرسولي[89]، كما عرفت جميعها بوقفياتها المتعددة ودورضيافاتها وداخلياتها وكفاءة مدريسها وورعهم وسمو ودماثة خُلقهم، ومكتباتها وحتى أضرحة المقبورين فيها من مؤسسيهما أو القائمين عليها ،وتجد مثل هذا في مدارس العالم الإسلامي، فقد أورد ابن خلدون[90] والنعيمي[91] في كل من مصر والشام، على سبيل التمثيل، مدارس لها نفس المهام والنظم وكثيرة الشبه بمدارس اليمن ،وقد فصلنا ذلك في كتابنا سالف الذكر[92]

ومن مدارس عدن المشهورة:

1.5- المدرسة الياقوتية :

هي المدرسة التي ترجع بجذورها إلى مخلفات العصر الرسولي، وقد بسطنا ذلك في كتابنا (معالم عدن التاريخية) (من تاريخ المدرسة الياقوتية)[93]. بيد أنه يجدربنا القول: إن مسألة وجودها في عدن أمر مفروغ منه، فقد أرخَّ لها بامخرمة باقتضاب شديد[94] وأشار إليها العيدروس[95] وبافقيه[96] باسم المدرسة، واعتنى بذكر أخبارها الأكوع[97] الذي لفت انتباهنا ونبهنا إليها – طيَّب الله ثراه – وبعث لنا بورقة خطية من مخطوطة النسبة إلى المواضع والبلدان قبل تحقيقها وطوى عن ذكرها صفحاً بعض الباحثين[98].

ولا حاجة بنا إلى اجترار ما دونَّاه في كتابنا سالف الذكر لكن يجدربنا الإشارة أن ما دعانا إلى احتمال وجودها في شارع الملك سليمان بعدن القديمة ،استنتاجان رئيسان هما:

1) وجود ضريح العلامة محمد بن عبدالله الذهيبي البصال ت 945هـ والمقبور في تربة البزازين ،الذي يصفه اليافعي بالإمام الجليل والمدرس المفيد مفيد الطلاب، والعالم العامل وزين عدن وبركة اليمن[99].
2) وجود عائلة الباحميش في هذه الحارة وهي العائلة التي تنحدرفي أصولها من جذر العلامة محمد بن أحمد باحميش ت :816 هـ القادم من تريم ،ومن أقطابها المعاصرين القاضي العلامة الشهيد علي محمد باحميش رحمة الله عليه. أضف إلى ذلك ملاحظاتنا أثناء ترميم مسجد الذهيبي في التسعينيات من القرن الفائت وما نتج عنها

من أنفاق أرضية توحي بمأثرة قديمة ،يقف المسجد على أنقاضها ،لكننا لم نطل الوقوف أمامها، وهنا للمسألة وجه آخر يجب الإشارة إليه ،وهو ضعف العناية بالمآثر وعدم الاستجابة للنداءات المبكرة بضرورة المعاينات العلمية للقى والمخلفات الأثرية التاريخية التي كثيراً مايعثر عليها الأفراد والجماعات بين الحين والآخر في المناطق القديمة في عدن، وهي نداءات سبقنا إليها العلماء الآثاريون من أمثال تشير نسكي وليكوك وجورج صيدح الذين دعوا ،في ما تقدم من السنين، إلى إجراء تنقيبات أثرية في مواضع محددة في المدينة، منها موضع منارة عدن، ومنطقة صيرة والقلعة.

أما الذهيبي البصال الذي يرقد الآن في المسجد في قباء قرب المصلى، فهو من علماء ومدرسي المدرسة وله كتاب أسمه (شرح التنبيه) وقد تتلمذ عليه كبار علماء عدن من أمثال عبدالله الطيب بن عبدالله بامخرمة، الذي ذكر أن عبدالله بن أسعد اليافعي انتفع كثيراً من البصال،وتعلم عليه غير القرآن، وأخذ التنبيه، وهو أول من انتفع به في عدن[100] وتوفي البصال في عدن في عام 745هـ،في حين يذكر اليافعي أنه توفي عام 748هـ، وأفاد أنه صلى عليه وعلى العلامة أبي الحسن علي بن عبدالله اليمني الصوفي في المدينة الشريفة[101]، وهي رواية قد تحتمل الشك، لكن جرت العادة أن يُصلى على العلماء وغيرهم في عواصم العالم الإسلامي بعد انتقالهم إلى الرفيق الأعلى. وقد نشأت ياقوتيات مماثلة في زبيد وإب وحيس وصف الأكوع أحدها وصفاً دقيقاً[102] مما يؤكد الترابط العرقي بين هذه المؤسسات التعليمية

2.5- المدرسة المنصورية:

وهذه المدرسة هي الأخرى من المدارس الرسولية التي قامت في عدن في القرن السابع والثامن الهجريين، قرني النهوض الحاسم، وهي حرية بالاهتمام وتنسب إلى عمر بن علي بن رسول، وليس صحيحاً ما ذكره بعض الباحثين أنها الوحيدة من المدارس التي شيدها آل رسول في عدن[103]وهو محض ليس له ما يدعمه، فقد ذكرنا فيما تقدم نبذة عن تاريخ المدرسة الياقوتية، وسوف نشير بعد قليل إلى الظاهرية وهي الأخرى مدرسة رسولية قامت في عدن، فهذه المدارس وغيرها أشار إليها المؤرخون، ونظراً لكونها قد باتت في خبر كان، فلم يعرها الباحثون اهتماماً، والأرجح أن موضعها في منطقة القطيع حيث يظهر الرسم البرتغالي للمدينة سنة 1512م جملة من المساجد والمدارس المتراصة على أطراف سور عدن القديم.

ويذكر بامخرمة أنها تنقسم إلى قسمين ،أحدهما للشافعية ،والآخر للحنفية، وفيها إمام ومؤذن ودرسة ولها أوقاف[104]

وقد عين فيها لفيف من العلماء ،منهم الزكي بن الحسن البليقاني، عينه الملك المظفر مدرساً، ورتب ابنه معيدا ،وكان مدرساً في علم المواريث والحساب وخلف الزكي ابنه يحيى ثم أحمد[105]. كما قدم إلى المدرسة محمد بن عبدالله الجزري ونزل فيها، وقد جرت العادة أن ينزل العلماء والمدرسون الوافدون من البلدان الأخرى في هذه المدرسة التي تضم في جنباتها أو على مقربة منها دور الضيافة وخانات لإقامة المدرسين ونُزل لطلبة العلم.

ودرّس فيها العلاّمة عبدالله الشحيري وهو فقيه قارئ للحديث، وأبو بكر الرعيني عالم الفرائض والحساب والجبر والمقابلة والفقيه محمد بن سعد أبو شكيل وشيخ الحديث نورالدين على بن جابر الهاشمي اليمني الشافعي، وله مشاركات، وأخذ عن الزكي البيلقاني[106] ودرّس فيها المؤرخ الكبير الجندي صاحب السلوك وأخذ الرسالة

الجديدة للشافعي والأحاديث السباعية (14حديثاً) عن محمد الزنجاني... والأرجح أن محمد بن الحسن التيمي صاحب المصنفات العلمية في علم البيطرة والطب والموسيقى قد درس فيها، إذ تتلمذ على جماعة من العلماء في عدن، منهم البيلقاني أحد كبار المدرسين المؤسسين للمدرسة.

ومن نافلة القول أن نعيد ما سبق قوله أننا – على سبيل التخمين والتظنين – نرى أن المدرسة تقع في منطقة القطيع حيث ضريح العلامة الزكي البيلقاني المدفون في مقبرة القطيع عام 676هـ، وحيث يقوم مسجد ابنه وحفيده أحمد البيلقاني المعروف بمسجد البيلقاني قرب سوق القصب[107]

بيد أن هذه الإشارة لا تعدو أن تكون تخميناً وتظنينا لا تطمئن النفس إليه لا محالة ما لم تقف على براهين قاطعة وليست استنتاجيه، ولن يتأتى هذا إلا بالتقصي والتحري العلميين، وهذا بطبيعة الحال، يتطلب إجراء تنقيب أثري في المنطقة، وعلى الأخص، قرب مسجد البيلقاني، الذي يُعد هو الآخر من المندثرات.

3.5- المدرسة الظاهرية:

أشار إليها ابن الديبع ونسبها إلى الملك الظاهر يحيى بن إسماعيل الرسولي ت:842هـ وتقع عند باب الساحل[108] وزوجته اختيار الدين ياقوت هي التي ابتنت ياقوتية عدن، وعدد من الياقوتيات في مناطق متفرقة من اليمن.

واكتفت المصادر التي بين أيدينا بهذه الإشارة، وهي إشارة لا تفصح عن شيء ذي بال، غير التسمية.

4.5- **مدرسة المطهر:**

ابتناها في عدن المطهر بن شرف الدين يحيى ت:975هـ، وقام نائبه في عدن قاسم بن الشويع ببنائها لتدريس المذهب الزيدي[109] ويذكر النهروالي أن المدرسة لم تستقم حيطانها وجدرانها، فقد استحالت في العهد العثماني إلى كناسة تلقى فيها القاذورات وأفادت الرواية أن أبا بكر العيدروس مرّ على مقربة منها، وقاسم بن الشريع يحفر أساسها وقال ما مفاده :إنها لن تقوم لها قائمة[110]. والعيدروس – كما ألمحنا – قد توفي في عام 914هـ ،ولهذا فالرواية لا حظ لها من الصحة.

5.5- **المدرسة السفيانية:**

وهذه المدرسة من المدارس التي كانت قائمة في عدن في العقد الأول من القرن العاشر الهجري، ونسبت إلى الشيخ علي بن سفيان، وموضعها على الأرجح، ما بين حافة اليهود وحافة الحبوش، وقد تعرضت لحريق عام 908هـ ألمح إليه جمهور المؤرخين[111] يعزوه شهاب إلى أن مساكن الأحباش في هذه المنطقة من الخوص القابل للحريق[112].

ويذكر محيرز أن الشيخ علي بن سفيان يربط نسبه إلي الشيخ سفيان الولي المعروف في حوطة سفيان شمال حوطه بلجفار في لحج ، وابنه عبدالله بن علي بن سفيان يعد مؤسس دار العفيف الأثرية بالضبيات في الضالع ، وقد كان الشيخ علي بن سفيان واليا على عدن عام 861هـمن قبل الطاهريين (3)

6- **النتائج والمقترحات والتوصيات**

ليس من المنتظر أن نقف على الكثير من المؤثرات الثقافية والاجتماعية لهذه الدور الدينية والعلمية. ولم يكن بدٌّ من الاعتراف – والحال هذه – بأن هذه الشذرات التي نستقيها من المصادر لا تعدو أن تكون إشارات هنا وهناك لا تكتمل بها الصورة، ولكنها، في كل الأحوال، مفتاح لدراسات أدق وأعمق، وقد قدمنا القول أو ألمحنا، فيما

تقدم، أن الركيزة الأساسية لهذه الدراسة هو رسم صورة جلية عن هذه المؤثرات الثقافية والاجتماعية التي أفرزها النشاط التعليمي والثقافي والعلمي في هذه الدور.

ثقافياً:

وتوخياً للاختصار والتماسا للخفة نوجز بعض المؤثرات الثقافية التي وقفنا عليها على شكل نقاط محددة:

(1) **النظام التعليمي:**

بروز نظام تعليمي متطور، إذا أمكن التعبير وقتئذٍ في المؤسسات الدينية والعلمية ويكمن هذا التطور في تنوع المواد الدينية والعلمية التي تدرس في كل من الجوامع والمدارس التاريخية، حيث انقسمت هذه العلوم إلى نقلية وعقلية، وكاد المسجد أن ينفرد بالعلوم النقلية وحدها، وعلى الأخص، علوم الفقه والشريعة الإسلامية ،أما المدارس فقد درّست كلا الاتجاهين النقلي والعقلي،ففي جامع عدن كانت حلقات الدرس تضم أكثر من مائتي دارس، وكان إمام الجامع ابن المستأذن نموذجاً بارعاً في الأدب إلى جانب براعته في الخطابة والوعظ.

ومن المساجد ما غدت متخصصة في تقديم دروسها على الطلاب والمريدين من خلال عرض الكتب الفقهية المتنوعة، واشتهر منها مسجد السماع، لكثرة ما يسمع فيه من قراءات متنوعة، ومثله مسجد الشجرة[113].

وفي بحثه القيم (أهل العلم في عدن) خلص البحاثة الدكتور نزار الحديثي بعد دراسة فاحصة مستقصية لأجيال أهل العلم في عدن إلى القول:

"وقد استمرت مدرسة عدن مزدهرة حتى نهاية القرن السابع الهجري وأن علماءها قدموا إنجازات جعلتهم موضع تقدير"[114] والاعتقاد أن هذه المدرسة لم تتوقف ،فقد تواصلت جهودها حتى القرن العاشر، والدليل رواية البريهي سالفة الذكر التي أكدت توافد العلماء والفقهاء والنساك إلى عدن حتى عهوده على الأرجح، وبرز تميز هذه المدرسة – مدرسة عدن – من خلال تعدد الحلقات وكثرة المدرسين من ذوي التخصصات ونتاجاتهم وتواصلهم مع المدارس العلمية المختلفة في مختلف البلاد العربية والإسلامية.

(2) قدوم العلماء والفقهاء إلى اليمن وعدن بخاصة حتى مطالع القرن العاشر الهجري، وقد سبق أن أشرنا إلى روايتي المقدسي والبريهي في هذا الصدد، ولا حاجة إلى أن نعرض لهما، فقد وفد الأئمة العلماء إلى عدن ،وأبرزهم في القرون الأولى الإمام على بن أبي طالب رضي الله عنه وألقى خطبة في جامع عدن، وأحمد بن حنبل الذي قدم إلى عدن للأخذ عن إبراهيم بن الحكم والمقدسي البشاري الذي سكنها سنة أو يزيد وعمل فيها مجلداً وأفاد أنه صلى التروايح في جامع عدن وأحمد بن حجر العسقلاني الذي أقام فيها ستة أشهر ألتقى فيها بعض علمائها ومنهم ابن المستأذن خطيب وإمام جامع عدن وأخذ عنه فنوناً من الأدب أو قرأ عليه بعض شعره الذي تضمنته تراجم العسقلاني الكثيرة – والتقى عدداً من العلماء الثقات – في مناطق أخرى من اليمن مثل زبيد وغيرها.

وهناك نماذج متعددة من العلماء والفقهاء وغيرهم وفدوا إلى عدن للعلم والتدريس فيها والتجارة والاستيطان، أشارت إلى أخبارهم تراجم العلماء ،وما أوردناه ليس إلا على سبيل التمثيل لا الحصر، وليس قصدنا الاستقصاء بل الإيماء ،وكان لوجود هؤلاء في عدن أثر بالغ في دعم الحركة العلمية والفكرية ودور فاعل في تلاقح الأفكار وتفعيل وتنشيط الرؤى العلمية المختلفة ،وليس صحيحاً الاعتقاد بأن هؤلاء العلماء الوافدين قد هيأوا ظروفاً مواتية ما كان ينبغي أن تتهيأ لولا وجودهم في الساحة العلمية في اليمن وعدن بخاصة، فقد قدم الكثير من هؤلاء للأخذ من علماء اليمن وعدن بخاصة، وأسهمت عدن

إسهاماً فاعلاً في رفعتهم وسؤددهم ،إذ عمل بعضهم في النشاط التجاري[115] وأفلحوا فيه واستوطنوا عدن ،منذ أن وضع آباؤهم الأقدام فيها... وقام ولاة الأمر بتعيينهم في المدارس التاريخية والدور العلمية والمختلفة رغبة في الاستفادة منهم لكن هذه المدارس والدور العلمية كانت تعج بعلماء وفقهاء وقضاة اليمن من المدرسين الأكفاء الذين يعتد بهم دون غلو وتزيد ، وقد يكون نافعاً بعض النفع أن نورد نموذجاً من التأثير والتأثر بين علماء اليمن أنفسهم ، فقد غدت عدن في فترة الدراسة ملاذاً وملجأ لعلماء حضرموت وزبيد وصنعاء وغيرها من مناطق اليمن، ولكن الغالب من هذه الوفود ،كان من حضرموت، وليس في هذا مطعن لطاعن، وليس من شأن أحد أن يثير حول هذه المسألة لغطاً كثيراً، فهذا ما وقفنا عليه في المصادر التي بين أيدينا ، فقد ارتحل محمد بن أحمد بافضل الحضرمي العدني إلى عدن وأخذ عن الإمامين محمد بن مسعود باشكيل ومحمد بن أحمد باحميش وكان بافضل، إماماً وعالماً كبيراً ،وأخذ علومه من عدن ،ومثله العلامة عبدالله بن أحمد بامخرمة عمدة الفتوى في عدن وهو الآخر يطلق عليه الحميري الحضرمي العدني وقد تفقه بالإمامين محمد بن مسعود باشكيل ومحمد بن أحمد باحميش في عدن.

وكان العلامة عبدالله بن أحمد بامخرمة عالماً في علوم الهيئة والفلك والحساب وكان آل طاهر يعظمونه ويمتثلون أمره.

وأخذ العلامة الكبير يوسف المقري بن يحيى الجبائي عن إمام عدن محمد بن سعيد بن كبن، ودرس على يديه، وقد تولى هذا العالم قضاء الأقضية في قطر اليمن ، وممن درس على يديه أو أخذ عنه الإمام عبدالرحمن بن محمد السقاف.

أما العلامة محمد عمر بحرق صاحب المؤلفات الكثيرة ،ومنها رسالة في الطب، فقد درس على يد عبدالله بن أحمد بامخرمه وأبي بكر بن عبدالله العيدروس صاحب جامع العيدروس ، ومما هو جدير بالملاحظة أن كثيراً من علماء ومدرسي ومعيدي المدرسة الياقوتية محل تقدير علماء حضرموت ،فقد تتلمذ هؤلاء على أيديهم، ومنهم عبدالقادر بافضل القائم بوظيفة مسجد المدرسة (الياقوتية) الذي أخذ العلم عن عبدالله بن عمر بامخرمه ،وأحمد بن عمر الحكيم، وأخذ النحو واللغة عن الفقيه محي الدين عبدالقادر الحموي في عدن.

ويعد عبدالله بن عمر بامخرمه من كبار علماء عدن ،وكان آية في الفقه والفلك والميقات ،وله رسالة في الربع المجّيب وهو صاحب كتاب "ذيل على طبقات الشافعية للأسنوي" الذي استند إليه المؤرخ محمد بن عمر بافقيه ت: بعد عام 1001هـ في كتابه "تاريخ حوادث السنين"، وقد استقى منه كل حوادث ومجريات الغزو البرتغالي على السواحل الجنوبية، على الرغم من كونه كتاباً فقهياً، بيد أنه تضمن أحداثاً خطيرة لو لم يتمكن بافقيه من نقلها إلى كتابه لغدت في خبر كان، فالذيل على طبقات الشافعية اندثر على الأرجح، بعد أن قام بافقيه بنقل هذه الأخبار إلى مدونته.

المدارس التي كانت بمثابة الكليات المتخصصة:

لقد كانت هذه المدارس ،ومدارس اليمن عامة، كانت بمثابة الكليات المتخصصة تجاوزاً، ففيها تدرس العلوم النقلية والعقلية مثل الفقه والمنطق والحساب والجبر وعلم المواريث والطب.

وعرفت نظام المدرس والمعيد[116] فقد كان الفقيه عثمان بن أبي سوادة الحضرمي معيداً للفقيه أبي بكر بن حنكاس ، على سبيل التمثيل،وتخصص أصحابها في علوم بعينها ، فالعلامة علي الأصبحي كان من المحققين في الفقه ،وعلي الزيلعي المعروف بالفرضي

كن متقنا لعلم الفرائض ،وعلي الجنيد برع في الطب ،وأبوبكر الرعيني كان عالماً في الفرائض والحساب والجبر ، وابن المستأدن كان خطيبا مصقعا وشاعرا مجيدا،ومن الجدير بالتأمل أن حكام تلك القرون وعلى الأخص القرن السابع وحتى العاشر، قد أولوا عناية وتبجيلاً متميزاً لعلماء زمانهم ومن المؤكد أنهم يعلمون علم اليقين أن تثبيت أركان السلطة من شروطه احترام العلماء وتبجيلهم[117]، فأجزلوا العطاءات على العلم والعلماء. وكانت نتاجاتهم تزفّ على أطباق الذهب والفضة من دار صاحب الكتاب إلى ديوان السلطة مع أصوات الطبول والمزامير في احتفاليات رائعة يحضرها العلماء والدرسة وممثلو السلطات وقتذاك ولا شك أن فترة العصر الرسولي كانت فترة متميزة مزهرة لا حاجة للخوض فيها فقد أفردنا لها دراسة منفصلة[118] وكان حكامها من ذوي المصنفات والنتاجات العلمية في علوم الفلك والطب والزراعة والبيطرة.

أما في عدن فقد ألمحنا، فيما تقدم ،إلى علماء وفقهاء ومدرسي المدرسة الياقوتية والمنصورية ،ومنهم محمد بن أحمد بافضل ومحمد التهامي وعمر اليافعي ومحمد بن أحمد الذهيبي البصال ومحمد عبدالله الجزري ومحمد سعيد بن كبّن ومحمد بن حسن التيمي، والأخير خلّف نتاجات علمية متميزة مثل:

1- دارة الطرب في الموسيقى ورسالة فيها.
2- كتاب في وضع الألحان.
3- التبصرة في علم البيطرة.
4- كتاب في معرفة السموم.
5- آيات الآفاق في خواص الأوفاق.

وعبدالله بن عمر بامخرمة ومؤلفاته في الفلك والحساب ورسالته في الربع المجيَّب. ناهيك عن علماء التاريخ، ومنهم عبدالله بن أحمد بامخرمة وعبدالله الطيب بن عبدالله بامخرمة ت:947هـ الذي تتلمذ على أيدي علماء هذه المدارس من أمثال الذهيبي البصال.

ويجدر بنا القول: إن لانتشار المكتبات ،وعلى الأخص، مكتبات المدارس والمساجد ودور العلم المختلفة ومكتبات البيوتات العلمية والأفراد دوراً فاعلاً في تفعيل هذه الأنشطة...

وقد امتاز مدرسو هذه المدارس بصفات ومزايا حرية بالاهتمام ،وجديرة بالتأمل فبعض مدرسيها يعزل نفسه من المدرسة إذا وجد خللاً ما في نظامها التعليمي أو تجاوزاً في سلوك إداراتها. ،فلما علم المدرس عباس السكسكي ،على سبيل التمثيل بأن المظفر الرسولي ابتنى المظفرية من جزية اليهود عزل نفسه واحتجب والنماذج كثيرة ومتعددة ولا حاجة إلى أن نعرض لها.

مخرجات هذه المدارس:

من كل ما تقدم يبدو جلياً أن هذه المخرجات قد توخى لها القائمون عليها مناهج الرشد، وبسطوا عليها جناح الرعاية والعناية المتميزة، التي تقف على أسس الشريعة الإسلامية السمحاء ،أضف إلى ذلك التربية التي جُبلوا عليها منذ نعومة أظفارهم، والقائمة على الاستقامة في كل شيء.. فظهر قضاة وفقهاء ومدرسون وإداريون يتوخون الصدق والأمانة، ويبذلون قصارى جهودهم في بناء الأوطان متحرين الدقة والانضباط فيما يوكل إليهم من مهام، فغدا القضاء امتحاناً يُمتحن به القاضي، وأصبح التعليم أمانة في عنق القائمين عليه ،وبات همّ المدرس تحريه فيما يصل إلى جيبه من نقود (حلال هي أم حرام) أضف إلى ذلك التزام المدرسين بالأنظمة وعدم الإخلال بها، فالإخلال يعّرض

المدرس للمساءلة والعزل... وزادت الأمور انضباطاً، إقرار الدولة لنظام المحاسبة والمصادرة الذي لم يقتصر على الإداريين في الدوائر الحكومية ،بل طال المدرسين والفقهاء والقضاة الذين مالوا أو كادوا عن جادة الطريق، فقد حوسب محمد بن عبدالله الجزري نزيل المنصورية في عدن وصودرت أمواله ،لما بدر منه من سوء تصرف في المال العام، وضُرب وعُصر وانتهى به الحال إلى أن صار بناته يدُرن في بيوت الناس لالتماس المعروف[119] أما هو فقد مات من التعذيب لنيف وستين وستمائة.

وقُل مثل ذلك عن الفقيه محمد بن سعد باشكيل وهو من مدرسي المنصورية الذي أُتهم بأنه أخل بمهنة القضاء ،فَصودر ماله وسجن ، لكن بامخرمة والجندي[120] ينفيان عنه التهمة ،وكانت هذه المحاكمات تتم في جامع عدن أو جامع المدينة.

وكان رئيس القضاة في زبيد القاضي أبي الخير الشماخي الحضرمي يتجول في دور القضاة، فمن وجد عنده ثياباً من حرير عزله عن القضاء، وهذه الإجراءات تنطبق على عدن وهي المركز العلمي الثالث في عصر الدولة الرسولية فالطاهرية على سبيل التمثيل.

عناية العلماء بالمؤسسات الدينية والتعليمية وعدم المساس بها:

وإلى جانب العناية التي أولتها الدولة للمساجد والمدارس والربط وغيرها والعمل على ترميمها وتجديدها وبناء الأروقة والأجنحة الإضافية، متى دعت الضرورة إلى ذلك بهدف التوسعة، فإن علماء اليمن قد غمروها بالعناية والرعاية العلمية وحافظوا على مدخراتها العلمية من المخطوطات ومخلفاتها الحضارية في البنيان... فلما سعى الإمام المهدي محمد بن أحمد صاحب المواهب إلى هدم المدرسة العامرية عام 910هـ في جُبن، وهي من مخلفات العصر الطاهري ،لأنها في اعتقاده من آثار كفار التأويل على حد قول الأكوع[121] تصدى له العلامة القاضي على بن أحمد السماوي ت:1117هـ، وتُعد هذه المدرسة من أبرز المآثر الإسلامية في اليمن، وقد قام عدد كبير من المختصين والآثاريين والفنيين يمنيين وأجانب بترميمها وإعادة تأهيلها وفق المواصفات العلمية في ترميم المآثر التاريخية.

الترابط العرقي الوثيق بين المدارس التاريخية في اليمن:

وتمثل هذا الترابط في التنقلات الإدارية بين المدرسين والدرسة فقاضي شبوة ،على سبيل التمثيل ،يُمتحن بقضاء السحول في إب، وفقهاء ذبحان يتفقهون على فقهاء من الشحر، وعلماء من حضرموت يدرسون في هجر العلم ،ودرسة من الجند وصنعاء يدرسون في مدارس عدن، فالمؤرخ الجندي صاحب السلوك درس في المنصورية ثم أصبح من مدرسيها، وابن سمرة الجعدي صاحب طبقات فقهاء اليمن درس على الأرجح في جامع عدن. ناهيك عن العلماء الوافدين من شتى أقطار العالم العربي والإسلامي الذين ألمحنا إلى بعضهم في سياق هذا البحث.

مشاركة المدرسين في التصدي للغزاة والمفسدين:

وتعددت هذه المشاركات الفاعلة، وأبرزها التصدي للغزاة بمختلف أشكالهم ومشاربهم ،فقد أفصحت المصادر عن تصدي مدرسي وفقهاء المدارس القديمة للغزو البرتغالي لمدينة عدن عام 923هـ[122] الذين لم يقفوا صامتين إزاء التآمر ضد وطنهم، بل كانوا السباقين لحيازة هذه الفضيلة ،فتوجهوا في أربعة عشر مركباً يجاهدون العدو في عرض البحر ويبدو أن كثيراً من مراكبهم قد تعرضت لقذائف العدو لعدم تكافؤ الجانبين،ولم يشر دلبوكيرك إلى ما حلّ بهذه المراكب[123].

وحدث مثل هذا في مدينة الشحر ،حيث تصدى مدراء ومدرسو المدارس من الفقهاء والقضاة للغزو البرتغالي لمدينة الشحر عام 929هـ. وكشف عن هذه الحادثة المؤرخ والبحاثة محمد عبدالقادر بامطرف في كتابه الشهداء السبعة، حيث ساد الظن لدى العامة والخاصة أن زيارة السبعة، التي تقام كل عام في المدينة، هي زيارة ثلة من الأولياء الصوفية دُفنوا في هذا الموضع، وخيّل إلى هؤلاء أن ما هم فيه من طقوس، له ظل من الحق، ثم تبين للبحاثة بامطرف أن هذه الرواية يجب أن توضع موضع الشك لقلة نصيبها من النقد لتقادم الزمن، فأخذ في البحث والتنقيب في التراث الخطي، وعلى الأخص مخطوطتي بامعيبد وباسباع اللتين تناولتا أحداث الغزو البرتغالي على الشحر عام 923هـ ومجريات أحداث أخرى، فاكتشف رحمة الله عليه أن هؤلاء ما هم إلا لفيف من مدرسي ومدراء مدارس الشحر، كان لهم شرف التصدي للغزاة والاستشهاد في سبيل الوطن.

الوقفيات وخزانة عدن ودورهما في دعم المؤسسات الدينية والتعليمية:

أسهمت الوقفيات المختلفة من حوانيت ودور وأراضٍ، التي أوقفها الحكام لخدمة هذه المؤسسات في دعمها مالياً ،إلى جانب ما تقدمه خزانة عدن من أموال لدعم التنمية وتطوير هذه المؤسسات. ،وتقدر الأموال التي تحملها هذه الخزائن سنوياً والتي تفد إلى المراكز الرئيسية للدول المتعاقبة بآلاف اللكوك من الذهب والفضة والملبوسات والطيوب وغيرها.

مشروع رصد وتتبع هذه المؤسسات الدينية والتعليمية:

أما في ختام هذا البحث فندعو جهات الاختصاص ومراكز البحث العلمي في جامعة عدن وجهات الاختصاص المعنية إلى:

(1) رصد المساجد والربط والزوايا؛ إن وجدت، وعلى الأخص، الحديثة التي لم يرد لها ذكر في مصادرنا، ومنها ما انمحى اسمها وتلاشى من الذاكرة وحل محله اسم آخر مع تقادم الزمن ،والبحث عن أصولها لدى كبار السن أو من يحتفظ بوثائق عنها، ومعرفة أئمتها والقائمين عليها منذ تأسيسها وما تعرضت له من تغييرات وإنشاءات ووضع أرشيف محدد لكل مسجد وملحقاته من الربط والزوايا ومقارنة ذلك بما دون عنها في المصادر.

(2) عدم المساس بالجوامع إلا بتوجيهات صريحة من جمعية علماء اليمن في عدن وموافقة مكتب وزارة الأوقاف، وإذا كان الترميم ضرورياً فوفق المواصفات... والهدف الحفاظ على ما تبقى من مخلفات حضارية في هذا الجامع أو ذلك.

(3) وعند الهدم وإعادة البناء، ينبغي على الجهة المعنية القائمة على المشروع تدوين سنة التأسيس الواردة في المصادر، وعلى سبيل المثال، فإنه خليق بنا عند إتمام بناء مسجد أبان الحديث أن ندون عبارة "يرجع تاريخ هذا الجامع إلى القرن الثاني الهجري" ومما لاشك فيه أن الجامع تعرض لجملة من المتغييرات، أفقدته صفته الأثرية والتاريخية؛ وقد دعونا فيما تقدم من السنين، وعند هدم الجامع وإعادة البناء، إلى الاحتفاظ بمخلفاته الحضارية من نوافذ وأبواب ذات زخارف إسلامية رائعة، ومنابره ومنها المنبر الخشبي القديم... وذهبت دعوتنا أدراج الرياح كما جرت العادة، بل وقام بعض الكاتبين بإعداد دراسة شاملة عن المخلفات الإسلامية خلص فيها إلى القول: إن هذا المسجد قد تعرض لمتغييرات مختلفة على مر الزمن، ولم تبق له من مخلفاته الحضارية سوى قطعة الأرض التي يقوم عليها... ومثل هذا كثير منبث في دراسات بعض المثقفين تساعد جهات الاختصاص على هدم المزيد من هذه الجوامع القديمة ونعتقد – والحال هذه – أن في هذا إسراف ما بعده إسراف،

في حين نجد أن بعض دول الجوار قد سلكت مسلكاً مغايراً في إحياء التراث العمراني ،بأن أعادت تأهيل وترميم المنشآت العمرانية الحديثة التي تعود بجذورها إلى الخمسينيات من القرن الفائت بحيث غدت هذه المنشآت مزاراً للسياح من أنحاء العالم ،ليس هذا فحسب بل ودرت أرباحاً استفادت منها عواصم هذه المدن.

(4) حفظ مخلفات الجوامع في المتاحف الوطنية، وعلى الأخص ما هو حري بالحفظ، مثل النوافذ المزخرفة والأبواب العتيقة ذات الزخارف الإسلامية وغيرها.

(5) الإعداد لدراسات آثارية عن المدارس العتيقة في عدن مثل الياقوتية والمنصورية والظاهرية والسفيانية ومدرسة المطهر وتوجيه الدارسين في الجامعات بالبحث عنها في مظانها المختلفة ، بما في ذلك المواقع الأثرية، واجراء التنقيبات في منطقة القطيع وصيرة.

(6) إن بروز هذه المسميات في المؤسسات الدينية والتعليمية القديمة في عدن – وإن باتت في خبر كان – ومنها المنصورية والياقوتية وغيرها، لدليل على الترابط العرقي الوثيق بين كافة المؤسسات الدينية والتعليمية العتيقة في الوطن اليمني كله.

(7) إن للربط وصوفيته من العلماء، دوراً فاعلاً في وضع أسس التعليم في عدن والأنموذج، العلامة الحسين بن الصديق الأهدل، ودوره التربوي والتعليمي في مسجده المعروف، وفي جامع عدن، ومثله العلامة أبوبكر بن عبدالله العيدروس، ودور تلامذته ومريديه في التصدي للغزاة البرتغاليين واندماجهم وتفاعلهم في الحياة الاجتماعية.

(8) كشفت الدراسة عن إسهام الدول الشيعية – المثال آل زريع في القرن الخامس الهجري – في بناء المساجد (124) – والمثال عمران بن محمد بن سبأ وبناء منبر جامع عدن ،مما يؤكد روح التسامح الديني السائدة في اليمن وعدن بخاصة

(9) عدم بروز الصراعات الفقهية والمذهبية بين علماء ومدرسي هذه المدارس، فالهيئة التعليمية تتشكل فيها من مدرسين ومعيدين ذوي توجهات مذهبية مختلفة مثل الجندي "سني"، والجزري "شيعي"، ومحمد بن سعد باشكيل "صوفي" وغيرهم.

المصادر والمراجع

(1) إبراهيم ،محمد كريم أ.د، زهور السوسن في تاريخ عدن اليمن ، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، جامعة عدن ،عدن 2004م

(2) الأهدل، أبو عبدالله الحسين بن عبدالرحمن بن محمد، تحفة الزمن في تاريخ اليمن، تح: عبدالله محمد الحبشي، شركة دار التنوير للطباعة والنشر 1986م.

(3) الادريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد عبدالله بن ادريس الحمودي الحسيني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب ط1، بيروت 1989م.

(4) الأكوع، إسماعيل بن علي، هجر العلم ومعاقله في اليمن، ط1، دار الفكر المعاصر، لبنان، دار الفكر، دمشق، 1995م والمدارس الإسلامية في اليمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء د.ت.

(5) الازرقي، محمد بن عبدالله، أخبار مكة، تح: رشدي ملحسن، دار الاندلس، ط3، بيروت 1969م.

(6) باوزير، أمين سعيد عوض، حلقات القرآن الكريم ومجالس العلم في مساجد عدن، ط2، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء 2005م.

(7) بامخرمة، (أ) عبدالله الطيب بن عبدالله، النسبة إلى المواضع والبلدان، ط1، مركز الوثائق والبحوث، أبو ظبي 2004م.
(ب) قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تح: محمد يسلم عبدالنور، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، 2004م ، تاريخ ثغر عدن، ط2، شركة دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1986 م .
(8) البريهي؛ عبدالوهاب بن عبدالرحمن، طبقات صلحاء اليمن، ط1، تح: عبدالله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ودار الآداب، لبنان 1983م، كما صدر الكتاب ط2 من تحقيق عبدالله محمد موسى مكتبة الإرشاد صنعاء 1994م.
(9) بافقيه؛ محمد بن عمر، تاريخ حوادث السنين ووفاة العلماء العاملين والسادة المربين والأولياء والصالحين، دراسة وتحقيق: أحمد صالح رابضة "د"، قيد الطبع.
(10) الجاسر، لمياء، مدارس حلب الأثرية، تاريخها وعماراتها، ط1، دار الرضوان دار الأنصاري، حلب، سوريا، 2000م.
(11) الجعدي، ابن سمرة، طبقات فقهاء اليمن، تح: فؤاد السيد، دار القلم، بيروت 1957م.
(12) الجندي، أبو عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب؛ السلوك في طبقات العلماء والملوك، ط1، تح: محمد بن علي الأكوع، وزارة الإعلام والثقافة، 1983م.
(13) الجرافي، عبدالله عبدالكريم، المقتطف من تاريخ اليمن، ط2، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت 1984م.
(14) ابن الديبع، عبدالرحمن بن علي، فضائل اليمن وأهله (ورقات مخطوطة غير مرقمة) معهد المخطوطات العربية، القاهرة – نسخ 1043هـ، وقرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تح: محمد بن علي الأكوع، المكتبة اليمنية الحوالية 1988م والفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار ط1 زبيد ، تح:محمد عيسى صالحية ،الكويت 1983م..
(15) دلبوكيرك ،أفونسو ، السجل الكامل، تر: عبدالرحمن عبدالله الشيخ (د)، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي 2000 المجلد الثاني.
(16) الوصابي، الحبيشي، وجيه الدين ، تاريخ وصاب، الاعتبار في التواريخ والآثار، ط1، تح: عبدالله محمد الحبشي، مركز الدراسات اليمانية، صنعاء 1979م.
(17) الزبيري، أبو عبدالله المصعب بن عبدالله المصعب، نسب قريش، تح: أ. ليفي بزوفيسال، دار المعارف، القاهرة للطباعة والنشر د.ت .
(18) اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط2، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، 1970م.
(19) اليمني، عمارة، المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، ط2؛ تح: محمد بن علي الأكوع، مطبعة السعادة، القاهرة.
(20) يعقوب، هارلدوف، ملوك شبه الجزيرة العربية، تر: أحمد المضواحي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار العودة، بيروت، 1983م.
(21) لقمان، حمزة علي، تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية، دار مصر للطباعة، 1960م.
(22) ابن المجاور، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسمى تاريخ المستبصر، تح: أوسكر لوفغرين، منشورات أوسكر لوفغرين، دار التنوير والنشر، ط2، بيروت، 1986م.
(23) محيرز، عبدالله أحمد ، العقبة، مؤسسة 14 أكتوبر للصحافة والطباعة والنِشر، عدن د.ت.

(24) المقدسي، البشاري، محمد بن أحمد ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه محمد مخزوم د ، دار إحياء التراث العربي 1987م. .
(25) النهروالي، محمد بن أحمد ، البرق اليماني في الفتح العثماني، ط2، شركة دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت 1986م.
(26) النعيمي، عبدالقادر بن محمد ، الدارس في تاريخ المدارس، أعد فهارسه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت 1990م.
(27) السيوطي، جلال الدين، نظم العقيان في أعيان الأعيان، المطبعة السورية الأمريكية، نيويورك 1927م.
(28) الأفضل العباس، العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، تح: عبدالواحد عبدالله أحمد الخامري، وزارة الثقافية والسياحة، صنعاء ،2004م.
(29) العبدلي ،أحمد فضل بن علي محسن ،هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ط2،دار العودة بيروت 1980م
(30) العيدروس ،عبدالقادر بن شيخ، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 1985م.
(31) العسقلاني، ابن حجر، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي، تهذيب التهديب،ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان 1984م
(32) علوان، أحمد ، التوحيد الأعظم المبلغ من لا يعلم إلى رتبة من يعلم ، ط1، تح: عبدالعزيز سلطان طاهر المنصوب، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ومركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء 1990م.
(33) ديوان وكتاب الفتوح، ط1، تح: عبدالعزيز سلطان طاهر المنصوب، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الفكر المعاصر، بيروت 1992م.
(34) عثمان، نجوى، الهندسة الإنشائية في مدارس حلب، جامعة حلب، معهد التراث العلمي العربي، حلب، 1992م.
(35) القاسمي ، سلطان بن محمد ، الاحتلال البريطاني لعدن ، مطابع البيان التجارية، دبي د.ت .
(36) القزوني، زكريا بن محمد بن محمود ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر بيروت د.ت.
(37) القرطبي ، أبوعبدالله محمد بن أحمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة 1997م .
(38) القلقشندي،أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ط1، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه: نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1987م.
(39) أ) رابضة، أحمد صالح، معالم عدن التاريخية، مركز الدراسات والبحوث اليمني والمركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، دار الفكر المعاصر، بيروت 1999م.
ب) معالم عدن التاريخية، تاريخ المدرسة الياقوتية في عدن ط1، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن 2007م
(40) الريحاني ، أمين ، ملوك العرب ، ط8 ، دار الجيل ، بيروت 1987م.
(41) الشجاع، عبدالرحمن بن عبدالواحد ، دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ط1، دار الفكر المعاصر، صنعاء 1990م.
(42) شهاب، حسن صالح، عدن فرضة اليمن، ط1، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء.
(43) بن شهاب الدين، حامد بن محمد بن عبدالله، الدليل القويم في ذكر شيء من عادات تريم، ط1، مكتبة تريم الحديثة، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء 2002م.

(44) الشيرزي، المنهج المسلوك في سياسة الملوك، ط1، تح: علي عبدالله الموسى، مكتبة المنار، الزرقاء 1987م.
(45) شرف الدين، أحمد حسين، تاريخ اليمن الثقافي، مطبعة الكيلاني الصغير، القاهرة، 1967م.
(46) خرد، محمد بن علي باعلوي، غرر البهاء الضوي ودرر الجمال البديع البهي، ط1، مطابع المكتب المصري الحديث، القاهرة 1405هـ.
(47) خسرو، ناصر، سفر نامة، ط3، تح: يحيى الخشاب "د"، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1983م.
(48) نجم الدين الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، حققه وضبط نصه، جبرائيل سليمان جبور، الناشر محمد أمين دمج وشركاه،بيروت ،لبنان.

البحوث والدراسات

(1) الحديثي، نزار عبداللطيف (د)، أهل العلم في عدن، بحث مقدم إلى ندوة مركز البحوث والدراسات اليمنية تحت عنوان (عدن في ظل الزريعيين والأيوبيين والرسوليين) جامعة عدن، عدن 8 ديسمبر 2004م.
(2) طاهر، علوي عبدالله (د)، رسالة المسجد كما فهمها الشيخ العلامة محمد بن سالم البيحاني، بحث مقدم إلى ندوة مركز البحوث والدراسات اليمنية تحت عنوان (الشيخ العلامة محمد بن سالم البيحاني أحد أبرز رواد التنوير الديني في اليمن) جامعة عدن، عدن، 30-31 ديسمبر 2008م.
(3) الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد (د)، ملامح الحركة العلمية في ثغر عدن، بحث مقدم إلى ندوة مركز البحوث والدراسات اليمنية، تحت عنوان (عدن في ظل الزريعيين والأيوبيين والرسوليين) جامعة عدن، عدن ، ديسمبر 2004م.

الصور والملاحق

صورة رقم(1) الرسم البرتغالي لمدينه عدن 1512م

صورة رقم(2) مدينة عدن سنة 1867

صورة رقم(3) قصر الشكر

صورة رقم (4) جانب من المسجد الأموي في دمشق

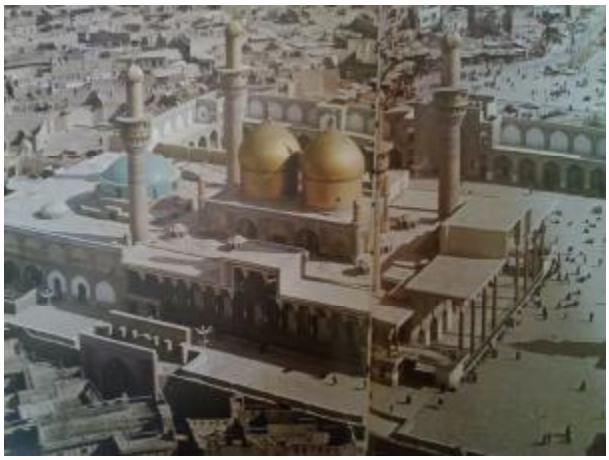

صورة رقم(5) جامع البصرة

صورة رقم(6) منارة جامع عدن

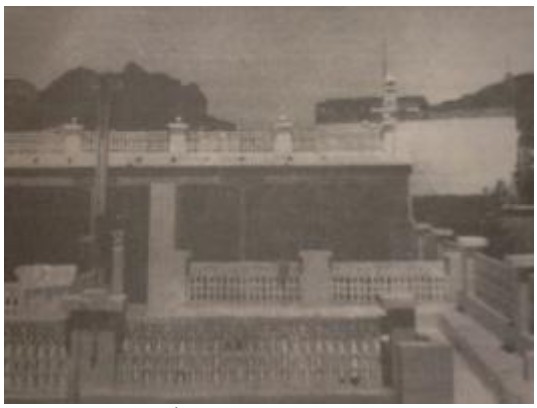

صورة رقم(7) جامع أبان

صورة رقم(8)

صورة رقم(16) جامع العيدروس

صورة رقم(16) مسجد ابن علوان

صورة رقم(16) مسجد حسين الأهدل

صورة رقم(16) مسجد العسقلاني

صورة رقم(17) مسجد جوهر

صورة رقم(18) تربة جوهر

صورة رقم(26) مسجد حامد

صورة رقم(26) مشهد الشيخ ريحان بن عبدالله العدني

صورة رقم(26) المدرسة الأشرفية

صورة رقم(26) مسجد العراقي

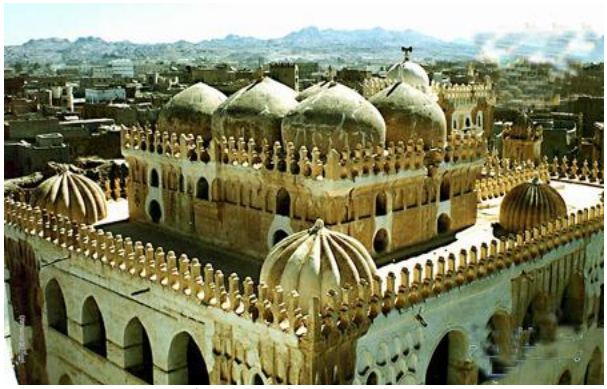

صورة رقم(25) المدرسة العامرية بعد الترميم

صورة رقم(23) المدرسة المنصورية في جبن

صورة رقم(26) مسجد الذهيبي المدرسة الياقوتية

صورة رقم(27) شارع البصال

صورة رقم(29)مدرسة سليم اليهودية

صورة رقم(30) جزيرة صيره

صورة رقم(33) صورة يرمز إليها بدائرة رباط تريم

صورة رقم(32) جامع مدينة الشحر

الهوامش:

([1]) أنظر على سبيل التمثيل، هارولدف يعقوب، ملوك شبة الجزيرة العربية، 59 والقاسمي، الاحتلال البريطاني لعدن 19.
Giavin, Aden under British Rule. P.14.
وثمة رسم مماثل للمدينة عليه كتابة باللغة العربية حررت، على الأرجح عام 999هـ/1590م وتبدو فيه الرسمة أكثر أتساعا ولكنها لا تختلف عن الأولى .
([2]) آثار البلاد وأخبار العباد 66.
([3]) مدير عام مركز الأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف سابقا والباحث في معالم وتاريخ عدن ، وله عدد من المؤلفات .
([4]) العماد : قرية صغيرة شمال شرقي الشيخ عثمان وشرقي فلاة إرم ذات العماد الأسطورة، العبدلي ،هدية 17 ومحيرز ، العقبة 96
([5]) أحسن التقاسيم 84، وشهاب، عدن فرضة اليمن 97.
قال الجندي 2/ السلوك 2/ 465 إن الشاعر أبو حنيفه أحمد العدني، الذي عاش في القرن السابع الهجري، ذكر في شعره قصور عدن حين قال:
(والقصور التي تبتدر منها – البدور التي صيغت فتن) وفي بامخرمه، تاريخ ثغر عدن (الجنود التي صيغت فتن) 66/2.
([6]) طبقات صلحاء اليمن 326.
([7]) تاريخ ثغر عدن 54- 55.
([8]) ملوك العرب 400 - 401
([9]) الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر حز قيال 26-27/ 1219
([10]) تاريخ المستبصر 127- 130 وتاريخ ثغر عدن 56 – 66.
([11]) الأدريسي، نزهة المشتاق.26
([12]) ابن المجاور، تاريخ المستبصر 120 وبامخرمه ، تاريخ ثغر عدن 39.
([13]) كتاب فضائل اليمن وأهله(ورقات خطية غير مرقمة)
([14]) 22/19
([15]) كتاب أبحاث ندوة إحياء الذكرى المئوية لميلاد الشيخ/ العلامة محمد بن سالم البيحاني 265.
([16]) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة 161- 162.
([17]) ذكر إسماعيل الأكوع، هجر العلم ومعاقلة في اليمن 632/2 أن الفقيه العالم سبأ بن عمر الدمتي عين مدرساً فيه وكان يقرى فيه القرآن والحديث وذلك في القرن السابع الهجري.
([18]) ذكر شهاب، عدن فرضة اليمن أن هذه المساجد سالفة الذكر شيدت في الفترة التي شيدت فيها المدارسة المنصورية بعدن 166- 167.
([19]) نزار الحديثي (د) أهل العلم في عدن 11.
([20]) الإستاد البحاثة محيرز في حوار معه في الثمانينات لكنني لم أقف على هده المعلومة في العقبة .
([21]) رابضة ، معالم عدن التاريخية 46.
([22]) أبن المجاور ، تاريخ المستبصر 120.
([23]) أنظر : لقمان ، تاريخ عدن،272 تجدر الملاحظة أن الخزرجي لم يشر إلي دلك .
([24]) انجرامس. الجزر والعرب 18
([25]) لقمان ، تاريخ عدن . 273
([26]) عمارة ، المفيد، وابن الديبع، فضائل اليمن وأهله (دون ترقيم) وبامخرمه، تاريخ ثغر عدن 39 وشهاب، عدن فرضة اليمن 145.
([27]) الجندي، السلوك 87/1 وشرف الدين، تاريخ اليمن الثقافي 15/4 والاهدل، تحفة الزمن 40-42 .
([28]) تاريخ المستبصر 120 والوصابي ،تاريخ وصاب 120.
([29]) أحسن التقاسيم 84- 85. وقال عنه : (على غالب الظن) جامع وحش وحماماته رديئة 85
([30]) با مخرمه ،النسبة 417.
([31]) معالم عدن التاريخية 46
([32]) العلامة حسن صالح شهاب.
([33]) طبقات صلحاء اليمن، 328.
([34]) ابن حجر، تهذيب التهذيب (المقدمة 5/1) والسيوطي، نظم العقيان 31. والبريهي، طبقات صلحاء اليمن 328.
([35]) ابن حجر، تهذيب التهذيب 5/1
([36]) أبن الديبع ، قرة العيون 232.
([37]) الشرجي، طبقات الخواص 129 وبامخرمة، تاريخ ثغر عدن 2/1-2/64
([38]) ذكر بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، أن منبر الجامع أقامه عمران بن محمد بن سبأ 186.
([39])الزبيري ، نسب قريش 82. وابن الديبع ، فضائل اليمن وأهله، دون ترقيم
([40]) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن 64/1 والأهدل، تحفة الزمن 93-94.
وابن الديبع، كتاب فضائل اليمن وأهله ،دون ترقيم.
([41]) أبن سمرة الجعدي، طبقات فقهاء اليمن 66، والشرجي، طبقات الخواص 130، وبامخرمه، تاريخ ثغر عدن 13.
([42]) بن شهاب الدين ، الدليل القويم 154.
(3) ملوك شبه الجزيرة العربية 360
([43]) محمد بن علي، غرر البهاء الضوي 214 أنظر ترجمة العيدروس، 208.

([44]) غرر البهاء الضوي 214.
([45]) تاريخ حوادث السنين 74.
([46]) النور السافر 77.
([47]) غدر البهاء الضوي 214.
([48]) مواهب القدوس في مناقب العيدروس.
([49]) جلاء الهم والحزن 14-16 وما بعدهما .
([50]) البرق اليماني 252- 255.
([51])المصدر نفسه255.
([52]) النجم الغزي، الكواكب السائرة 1/ 113-114
([53]) موضعة في شارع حسن علي ، حارة اليهود قديماً عدن القديمة
([54]) النجم الغزي، الكواكب السائرة والسيوطي، نظم العقيان 31.
([55]) العسقلاني، تهذيب التهذي6/1 والسيوطي، نظم العقيان 31.
([56]) موضعه في شارع الزعفران، عدن القديمة.
([57]) الشرجبي، طبقات الخواص، 71.
([58]) باوزير، حلقات القرآن الكريم، 152.
([59]) الشرجي ، طبقات الخواص، 71.
([60]) بامخرمه ،تاريخ ثغر عدن 346.
([61]) تاريخ حوادث السنيين 23.
([62]) منهم: بافقيه، تاريخ حوادث السنين 22، والعيدروس، النور السافر 27.
([63]) . أنظر : زهور السوسن 295
([64]). في التسعينيات من القرن الفائت
([65]) الشرجي، طبقات الخواص، 120.
([66]) تاريخ ثغر عدن 39 والشرجي، طبقات الخواص، 120.
([67]) مرآة الجنان 347/4 وبامخرمه، تاريخ ثغر عدن 39/2.
([68]) تاريخ ثغر عدن 41.
([69]) طبقات صلحاء اليمن 326 -327 .
([70]) تاريخ ثغر عدن 78/2 .
([71]) المصدر نفسه 20/1
([72]) المصدر نفسه 18/1
([73]) أبن المجاور، تاريخ المستبصر 118، وبامخرمه،تاريخ ثغر عدن 21/1.
([74]) أبن المجاور، تاريخ المستبصر، 148.
([75]) سفر نامه 150.
([76]) الأكوع، هجر العلم ومعاقله 7/1 .
([77]) المرجع نفسه 9/1
([78]) مرآة الجنان 246/2.
([79]) المقتطف 95.
([80]) تاريخ حوادث السنين 74.
([81]) المصدر نفسه 48
([82]) المصدر نفسه 6
([83]) أحمد بن علوان، ديوان وكتاب الفتوح 74- 75 والتوحيد الأعظم 24-25
([84]) قيد الطبع
([85]) الأكوع، المدارس الإسلامية في اليمن 53- 337.
([86]) قلادة النحر 3057/3 والأفضل بن العباس، العطايا 436 والجندي، السلوك 50/2.
([87]) رابضة، المعالم الفكرية للحضارة الإسلامية في اليمن 89.
([88]) الإكليل العدد 2001/25م
([89])الأكوع، المدارس الإسلامية في اليمن 310.
([90]) تاريخ ابن خلدون، 667/7.
([91]) الدارس في تاريخ المدارس.96/1-362 وانظر: الجاسر، مدارس حلب الأثرية، 63. ونجوى عثمان، الهندسة الإنشائية في مساجد حلب.214-215 ومواضع أخرى من الكتاب
([92]) المعالم الفكرية للحضارة الإسلامية في اليمن.89
([93]) وكنا قد أصدرنا كتابنا (مدرسة الفاروق النموذجية بين الماضي والحاضر) سنة 2000م وتضمن تاريخ هذه المدرسة قديماً وحديثاً.
([94]) النسبة إلى المواضع والبلدان 166 .
([95]) النور السافر 187 (أطلق عليها مسجد المدرسة).

([96]) تاريخ حوادث السنين 115 (أطلق عليها مسجد الدرسة). والحارة التي تقوم فيها المدرسة تعرف بحافة البصال وفيها مجنة مشهورة بالبزازين، بامخرمة، تاريخ ثغر عدن 198/2.
([97]) المدارس الإسلامية في اليمن 310.
([98]) ذكر شهاب في عدن فرضة اليمن أنه لا توجد في عدن مدرسة غير المنصورية 166.
([99]) مرآة الجنان 244/2.
([100]) الصدر نفسه 198/2.
([101]) مرآة الجنان 244/2.
([102]) المدارس الإسلامية في اليمن 307-308.
([103]) شهاب، عدن فرضة اليمن 166.
([104]) تاريخ ثغر عدن 179/2.
([105]) المصدر نفسه 83/2.
([106]) اليافعي، مرآة الجنان 246/2.
([107]) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن 83/2.
([108]) الفضل المزيد 112 والأكوع، المدارس الإسلامية 306.
([109]) الأكوع، المدارس الإسلامية 393.
([110]) البرق اليماني 251-255-393.
([111]) العيدروس ،النور السافر 85 والسخاوى، الضوء اللامع ا، وابن الديبع، الفضل المزيد 166 .
([112]) عدن، فرضة اليمن 194
(3.) العقبة 164
([113]) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن 164.
([114]) 11-12
([115]) الشجاع، ملامح الحركة العلمية 1.
([116]) انظر الأفضل العباس، العطايا 247. وبامخرمة، القلادة 3057/3. والقلقشندي، صبح الأعشى 436/5.
([117]) الشيزري، المنهج المسلوك 176.
([118]) المعالم الفكرية للحضارة الإسلامية في اليمن 70(قيد الطبع).
([119]) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن 221. والأكوع، المدارس الإسلامية في اليمن 62-63.
([120]) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن 218. والجندي، السلوك 460/2. والأكوع، المدارس الإسلامية في اليمن 61.
([121]) المدارس الإسلامية في اليمن 338.
([122]) لم يحقق أفونسو دلبوكيرك ولا غيره من القراصنة أي هدف لهم في عدن (أفونسو دلبوكيرك) السجل الكامل 413/2-419.
([123]) وردت الرواية في المصدر نفسه 419/2.
([124]) .أنظر : بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن 186